قيم التسامح الديني والإنساني وأثرها في مواجهة خطاب الكراهية

ـ دراسة في نصوص الإسلام والممارسة النبوية ـ

أ.د. رشيد كُهُوس
جامعة عبد المالك السعدي
تطوان - المغرب

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020/05/23	2020/05/25	2020/06/15

الملخص:

هذا البحث دراسة تأصيلية تطبيقية لقيمة التسامح الديني والإنساني في الإسلام وتطبيقاتها العملية في السيرة النبوية الشريفة، وأبعاده الاجتماعية في الحد من خطاب الكراهية. وذلك من خلال مباحث ثلاثة: المبحث الأول: مكانة التسامح في نصوص الإسلام.. سأتناول فيه نماذج من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحث على التسامح . المبحث الثاني: قيمة التسامح في الممارسة النبوية. وهو شق تطبيقي يبتغي إبراز النماذج العملية للتسامح في السيرة النبوية. المبحث الثالث: التسامح الديني والإنساني أساسا لمواجهة خطاب الكراهية. في هذا المبحث سأبين الأبعاد الاجتماعية للتسامح، مركزا على البعد الاجتماعي الذي يتجلى في نبذ خطاب الكراهية والحد منه.

الكلمات المفتاحية: التسامح، الكراهية - نصوص الإسلام - الممارسة النبوية.

Abstract:

The values of religious and human tolerance And its impact on confronting hate speech Study of the texts of Islam and prophetic practice Dr.Rachid Kohouss This research is an original and applied study of the value of religious and human tolerance in Islam and its practical applications in the noble prophetic biography, and its social dimensions in reducing hate speech. And that is through three topics: The first topic: The place of tolerance in the texts of Islam .. I will discuss in it examples of Quranic verses and prophetic hadiths that urge tolerance. The second topic: The value of tolerance in the prophetic practice. It is an application that aims to highlight the practical

examples of tolerance in the Prophet's biography. The third topic: Religious and human tolerance as a basis for confronting hate speech. In this topic, I will explain the social dimensions of tolerance, focusing on the social dimension that is manifested in rejecting and reducing hatred.

Key Words: Tolerance, hatred, texts of Islam, prophetic practice.

مقدمة:

الحمد لله ذي الإكرام والجلال، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس في سائر الأحوال، وعلى آله وأصحابه أفضل أصحاب وأكمل آل، أما بعد:

فيشهد الواقع الإنسانيُّ مظاهرَ عدة من أشكال الكراهية والعنصرية والتعصب على الصعيدين الفردي والجماعي، وهي في واقعنا المعاصر أكثرُ بروزا وجلاء.

ومن منطلق دفعِ الضررِ الواجب شرعا، كان لزاما على مفكري الأمة وخبرائها وباحثيها أن ينشغلوا ببحث هذا الموضوع، كما أنه من منطلق وظيفة الأمة في الشهادة على الناس، وجب على نخبها ومثقفيها تقديمُ مفهومِ قيم التسامح وأسسها ومقوماتها وأبعادها الاجتماعية والحضارية للناس، بنفَس أصيل يَمتَح من المنهاج النبوي، وبنفس تجديدي أيضا يستجيب للتحديات المعاصرة، والتطلعات الإنسانية.

ومن يتتبع هداياتِ الوحي يجد أنها أسست لمنظومة شمولية جامعة متكاملة لقيم التسامح الديني والإنساني، وآثارها في تحقيق السلم والأمن والحد من خطاب الكراهية والتعصب والعنف...

إن التسامح الديني والإنساني من قيم ديننا الإسلامي الحنيف وشريعتنا الغراء، ومن أهداف الدعوة المحمدية، فلقد بُعث عليه الصلاة والسلام؛ ليُرسي دعائم السلام العالمي والتعارفَ الحضاري والأمن الاجتماعي بين الناس من خلال تربية المسلمين على التسامح تجاه كل الأديان والثقافات والشعوب والأمم. ولم يكتف ﷺ بهذا، بل ألزم أتباعه بالسلوك العادل الذي لا يقبل بالآخر فحسب، بل يحترم فكره وثقافته ودينه وعقيدته.

بذلك كان التسامح أحد المعالم الرئيسة للعمران الإنساني الإسلامي، وأهم الدعائم التي يقوم عليها استقرار المجتمعات وأمنها.

إن التسامح بين أتباع الأديان والثقافات هو من أهم القيم الإنسانية الحضارية التي ترنو إليها المجتمعات المعاصرة وشعوب العالم؛ في ظل انتشار خطاب الكراهية والعنف والتعصب المتذرع بالدين.

وإن الأحداث الداميةَ التي تعيشها أجزاءٌ من العالم اليوم الناتجة عن تصاعد خطاب الكراهية والعنف والتعصب تجعله في أمس الحاجة إلى البحث عن المخرج من ضيق الكراهية وظلمتها.

لأجل ذلك كله اخترت هذا الموضوع؛ لأنه يسهم في الحد من انتشار خطاب الكراهية والتعصب الديني المقيت، كما يسهم في تأسيس ميثاق لعدم الاعتداء على الإنسان وعلى إنسانية الإنسان مهما اختلفت العقائد والأديان، ميثاق ينبذ الكراهية والإقصاء والحقد العنصري والتعصب المقيت..

إشكالية البحث:

ينطلق هذا البحث من سؤالين رئيسين، وهما:

- كيف نواجه خطاب الكراهية ونحصِّن مجتمعاتنا منه؟
- ما هو أثر قيم التسامح الديني والإنساني في القضاء على ثقافة الكراهية وسياسة الإقصاء والتعصب ؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- التأصيل الشرعي لقيمة التسامح الديني.
- استلهام الأنموذج النبوي في ترسيخ قيم التسامح الديني ومحو دواعي الكراهية.
- إبراز الآثار الاجتماعية لقيم التسامح الديني.
- نشر قيم التسامح في المجتمع من أجل الحد من خطاب الكراهية.

خطة البحث:

تحقيقا للأهداف السابقة سأولي المباحث الآتية عنايةً:

- المبحث الأول: مكانة التسامح في نصوص الإسلام.
- المبحث الثاني: قيمة التسامح في الممارسة النبوية.
- المبحث الثالث: التسامح الديني والإنساني أساسا لمواجهة خطاب الكراهية.

منهجية البحث:

تعتمد منهجية البحث العلمية على التأصيل النظري لقيم التسامح الديني والإنساني، والتنزيل العملي لها في مجتمع النبوة، وخطة مواجهتها في المجتمع المعاصر.

ويستدعي كلّ هذا، المنهجَ التحليلي؛ وذلك بتحليل هدايات التي تضمنتها نصوص الإسلام والممارسة النبوية المتعلقة بموضوع البحث تحليلا علميا يبين مضامينها الظاهرة والخفية، ويُجلي علاقاتها المقامية والمقالية، ويرصد مظاهرها المختلفة، ويتتبع آثارها العلمية والعملية، فضلا عن المنهجين الاستقرائي والاستنباطي؛ أي استقراء نصوص الإسلام ووقائع الممارسة النبوية المتعلقة بالتسامح الديني والإنساني بين الشعوب وأتباع الأديان، وتحليلها لاستنباط قيم التسامح الديني وتجلياتها العملية في المنهاج النبوي وأبعادها الإنسانية والحضارية المتجلية في الحد من خطاب الكراهية والتعصب.. حتى نستفيد منها في عصرنا هذا.

المبحث الأول: مكانة قيمة التسامح في نصوص الإسلام

شكَّل التسامح الديني والإنساني في الإسلام أنموذجًا عمرانيا حضاريًا مشرقًا، حيث لم تعرف الأممُ والحضارات الإنسانية والشعوب عيشا مجتمعيا إنسانيا آمنا بين الآدميين باختلاف أديانهم وأعراقهم وأوطانهم مثلما عرفه الإسلام وعهد التنزيل؛ ذلك بأن البعثة المحمدية والدعوة الإسلامية لم تقم على اضطهاد المخالفين لها أو مصادرةِ حقوقهم أو تحويلهم عن دينهم أو المساسِ الجائر بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم... وإنما قامت على التسامح الديني والإنساني مع كل فئات المجتمع بمختلِف انتماءاتها واتجاهاتها الدينية والعرقية.

ذلك بأن المقصود بالتسامح الديني والإنساني هو: أن يكون لكل فرد في الأمة حقٌ في أن يعتقد ما يراه حقا، وأن تكون له الحريةُ في أداء شعائر دينه كما يشاء، وأن يكون أهلُ الأديانِ المختلفة أمام قوانين الدولة سواء(1)، وأن تحترم لكل إنسان إنسانيته وتحفظ له كرامته الآدمية.

ومن ثم فإن التسامح هو قبول الآخر واحترام دينه ومعتقده وثقافته وإنسانيته وآدميته وحريته واختياره. ويتعزز هذا التسامحُ بالتعارف والتواصل والانفتاح والعيش السلمي المشترك في أمن واستقرار وسلام.

ولئن تأسس مفهومُ التسامحُ الديني والإنساني في الفكر الوضعي على نظرة بشرية محدودة في الزمان والمكان، فإنه في الوحي الرباني الخالد يتأسس على دعائم إيمانيةٍ عقدية قوية تشمل سائر العصور من نزول القرآن المجيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتربط ذلك كلّه بسلوك البشر إلى رب العالمين، وتجعله من التكاليف الإلهية الواقعة على عاتق المسلمين جميعا. وبذلك يرتقي الإسلام بالإنسان ويسمو بتصرفاته مع المخالفين له في الدين والوطن والعرق. ويجعل الإحسان إليهم والبرَّ بهم والتسامح معهم عبادةٌ وقربة.

وتأسيسا على ما سبق فإن منهاج الوحي في التعامل مع المخالفين في الدين والمعتقد قائم على التسامح والرحمة والصفح والإخاء الإنساني والحرية الإنسانية لا على العنف والقسوة والكراهية.

من أجل ذلك حضّ الإسلام على التسامح والتعارف مع الشعوب والأعراق والطوائف المختلفة. فالإسلام بتشريعاته ونظمه يمقت خطاب الكراهية والتعصب الأعمى للأفكار والمعتقدات والمذاهب المتعددة، هذا التعصب وتلك الكراهية التي تدفع الإنسان إلى تجاوز حقوق الآخرين، والنيل من كرامتهم.

1) مكانة التسامح في القرآن الكريم:

لقد قرر القرآن الكريم أن المبدأ الأساس في العلاقات بين الناس هو مبدأ التسامح والسلم الاجتماعي والتعاون على الخير، يقول جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)** ﴾ [الحجرات] .

ذكر الله تعالى مجموعة من الآداب والقيم والأخلاق يجب أن يتحلى بها المسلم؛ ليتحقق السلم بينه وبين الآخرين مهما كان دينهم وعرقهم وأصلهم... ثم عقب على تلك الأخلاق والقيم

التي كانت خطابا للذين آمنوا، ليرتلوها، ويأخذوا أنفسهم بها.. وليس هذا فحسب، بل إن عليهم أن يراعوا هذه القيم وتلك الآداب مع الناس جميعا مهما اختلف دينهم وعرقهم.. إنها قيم دينية وإنسانية، يجب أن تكون طبعا وجبلّة في المؤمن، يتحلى بها في الحياة كلها، ومع الخلق كافة، فلا تكون ثوبا يلبسه مع المسلمين، حتى إذا كان مع غير المسلمين نزعه.. فإنه بهذا إنما ينزع كمالا خلعه الله عليه، ويتعرّى من جلال كساه الله إياه..

ولهذا جاء الخطاب هنا للناس جميعا: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ والمستمع لهذا الخطاب، والعامل به، هم المؤمنون.. ثم أعقب هذا الخطاب، بتقرير هذه الحقيقة التي ينبغي أن يعيها المؤمنون: ﴿**إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى**﴾.. فأنتم أيها الناس- مؤمنين وغير مؤمنين- إخوة في الإنسانية...

فتوزّع الناس إلى شعوب وقبائل، ليس أمرا ذاتيا، تتغير به حقيقة الإنسانية في الناس.. إنهم مهما اختلفوا شعوبا وأوطانا، فإنهم إخوة قرابة ونسبا، وقوله تعالى: ﴿**لِتَعارَفُوا**﴾ تعليل لهذا التقسيم الذي وقع في محيط الناس، فكانوا شعوبا وقبائل، وذلك ليتعارفوا، وليكون لهم في مجتمع الشعب أو القبيلة، تماسك وترابط، وتسامح وتعاون، لأنهم في هذا المحيط الضيق- نسبيّا- أقدر على أن يتعارفوا، ويتآخوا، ويتسامحوا، الأمر الذي لا يقع- إن وقع- إلا باهتا، لا يكاد يحسّ، لو أن الإنسان كان فردا في الإنسانية كلها..

فلما جعل الله سبحانه وتعالى لنا من أنفسنا أزواجا نسكن إليها، وأولادا تقرّ بهم أعيننا، وتصبّ فيهم روافد عواطفنا- جعل الله لنا المجتمعات التي ننتمي إليها، والأمم التي نرتبط بالحياة معها..

وكما أن الأسرة لا تعزلنا عن أمتنا، ولا تقطعنا عن مجتمعنا، كذلك ينبغي ألا تعزلنا أمتنا عن الأمم، ولا يقطعنا مجتمعنا عن المجتمعات الأخرى..

فالاختلاف الواقع بين الناس، وتمايزهم شعوبا وأمما، هو في الواقع سبب تعارفهم، وتسامحهم، وتعاونهم، وداعية إلى قيام هذه الوحدات الحية في كيان المجتمع الإنساني، الممثلة في الشعوب والأمم.. فهذه الوحدات هي التي غذّت مشاعر العصبية للقومية، ووثقت من روابط الجماعة التي تضمها وحدة، من وطن، أو لغة، أو دين، فتعاونت، وترابطت، وصارت أشبه بالكيان الواحد[2].

وعلاوة على ذلك فإن الإسلام ينبذ احتقار الإنسان وكراهيته أو إهانته أو السخرية منه، أو التجسس عليه، أو إساءة الظن به، أو الإقدام على أي فعل أو تصرف يحط من كرامته، أو يحرمه من حقه، أو يسبب الخوف له.. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: 11].

إن من أفتك الآفات التي تغتال مشاعر الإخاء والمودة بين المجتمعات، استخفاف جماعة بجماعة، والنظر إليها نظرا ساخرا، فإن ذلك من شأنه أن يغري هؤلاء المستخفّين المستهزئين بمن استخفوا بهم، ونظروا إليهم باستصغار واستهزاء، ثم هو من جهة أخرى يحمل الجماعة المستخفّ بها، المستصغر لشأنها- على أن تدافع عن نفسها، وأن تردّ هذه السخرية والكراهية، وهذا الاستهزاء بالسخرية والاستهزاء والكراهية، ممن سخروا منهم، وهزأوا بهم.. وهذا أول قدح لشرارة الحرب.. فإن الحرب أولها الكلام، كما يقولون.. [3].

ومن ثم؛ فإن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بنور القرآن وهدي النبي العدنان ﷺ على قيم التسامح مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس. وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتها واحدة.

وهكذا يقيم القرآن الكريم سياجا متينا في هذا المجتمع الفاضل الكريم، حول حرمات الأشخاص به وكراماتهم وحرياتهم، فلا تمس من قريب أو بعيد، تحت أي ذريعة أو ستار [4].

يقول الله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (الممتحنة: 8).

أي لا يمنعكم الله من البرّ والإحسان والتسامح وفعل الخير إلى الكفار الذين سالموكم ولم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم، كالنساء والضعفة منهم، كصلة الرحم، وحسن الجوار، وكرم الضيافة، ولا يمنعكم أيضا من أن تعدلوا فيما بينكم وبينهم، بأداء مالهم من الحق، كالوفاء لهم بالوعد، وأداء الأمانة، والمعاملة بالعدل، وحفظ الحقوق.. إن الله يحب العادلين، ويرضى عنهم، ويمقت الظالمين ويعاقبهم [5].

هكذا فإن الإسلام دين أمن وسلام، وشريعة حب وإخاء، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله ورحمته وتسامحه، وأن يقيم فيه منهاجه وأخلاقه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين متسامحين. وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك! وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة ولا يكره أحدا، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع. ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس، وتتحرر من أغلال الكراهية والتعصب. فتتجه هذا الاتجاه المستقيم...

وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، التي أمر أن تقام الحياة على قيم التسامح والتراحم والتعاون والإخاء، ونهى عن التعصب والكراهية.

وهذا أساس شريعة الإسلام الدولية التي تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعا هي الحالة الثابتة، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة رده، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة، وهي تهديد بالاعتداء أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد. وهو كذلك اعتداء. وفيما عدا هذا فهي السلم والتسامح والتعاون والبر والعدل للناس أجمعين[6].

ومن ثم فإن التسامح الديني والإنساني المتمثل في حرية التدين يمثل قاعدة كبرى من قواعد شريعة الإسلام وركن عظيم من أركان سياستها في حقوق الإنسان، وسمة من أبرز السّمات التي قامت عليها الدعوة الإسلامية وانطلقت في ظلالها البعثة المحمدية.

والإسلام لم يكتف فقط بمنح حرية المعتقد لغير المسلمين، بل أباح لهم ضمن تشريعاته السمحة ممارسة شعائرهم، والحفاظ على أماكن عبادتهم، تحقيقا للعيش المشترك بينهم وبين المسلمين.. وهكذا تأصلت قيمة التسامح الديني والإنساني في المجتمع الإسلامي في سائر عصوره.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية: "فلما بعث الله رسوله ﷺ استجاب له ولخلفائه بعده أكثر أهل الأديان طوعا واختيارا، ولم يكره أحدا قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه

ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالا لأمر ربه سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، وهذا نفي في معنى النهي، أي لا تكرهوا أحدا على الدين"[7].

ويقول الإمام القرطبي (ت: 671هـ)- رحمه الله-: " فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية"[8].

وبناء على هذا التصور فإن الإسلام يتسامح مع أصحاب الأديان المخالفة له فلا يكرههم أبدًا على اعتناق دينه.. وحسب الإسلام أنه لا يكرههم على اعتناق دينه. وأنه يحافظ على حياتهم وأموالهم ودمائهم وأنه يمتعهم بخير الوطن الإسلامي بلا تمييز بينهم وبين أهل الإسلام وأنه يدعهم يتحاكمون إلى شريعتهم في غير ما يتعلق بمسائل النظام العام[9].

قال الله جل وعلا: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** (العنكبوت: 46). "أي ولا تحاججوا، ولا تناقشوا اليهود والنصارى إلا بالطريقة الحسنة وبالأسلوب الهادئ اللطيف، إلا الذين ظلموا أنفسهم، وحادوا عن سبيل الحق، وعموا عن واضح الحجة، وعاندوا وكابروا، ولم ينفع معهم أسلوب المنطق والإقناع العقلي، فهؤلاء يعاملون بالمثل، ويرد على عدوانهم ومكابرتهم بطريقتهم نفسها"[10].

ذلك بأن الأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية أن تكون قائمةً على الأخوة والتعاون والتعارف والتسامح والاحترام وبذلِ المعروف وسائر القيم الإنسانية والدينية؛ حتى ولو تباينت الأفكار والمواقف، بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورةَ الالتزامِ بهذه القيم الخُلقية الحضارية.

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾** [الروم: 22]

إن الإسلام لا ينكر التنوع العرقي والثقافي والعقدي... بل يعترف به، سواء في إطار الجامعة الإسلامية والحضارة الإسلامية، أو في الدوائر الحضارية الأخرى.. يعترف الإسلام بهذا الآخر، ومن ثم يتعارف عليه، ويتسامح معه ويتعايش، لا كمجرد واقع لا فِكاك منه، وإنما

باعتبار هذا الاعتراف وهذا التعارف سنة من سنن الله سبحانه وتعالى وإرادة تكوينية لخالق هذا الوجود..

وهذه الرؤية الإسلامية -في التعامل مع الآخر- القائمة على التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف والتعارف والتسامح.. لم تقف عند الموقف (النظري) الذي يعترف بالآخر على مَضَض، والذي يضيق بواقع التعدد والاختلاف، مع التسليم بوجوده.. وإنما بلغت وتبلغ الصورة الإسلامية - في التحضر والرقي- حدّ العدل والإنصاف لهذا الآخر، على اختلاف ألوان هذا الآخر.

بل أكثر من ذلك، فالإسلام ينفرد بالاعتراف بكل الشرائع والملل وجميع النبوات والرسالات، وسائر الكتب والصحف والألواح التي مثَّلت وحي السماء إلى جميع الأنبياء والمرسلين، منذ فجر الرسالات السماوية وحتى آخر وخاتم هذه الرسالات.. وفوق هذا الاعتراف، هناك القداسة والتقديس والعصمة والإجلال لكل الرسل وجميع الرسالات [11].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

يقول الإمام أبو زهرة - رحمه الله-: "فهذا الاختلاف للتعارف لا للتناكر، ولا ليستحقر بعض الشعوب غيرها. وإن التعارف ليس هو المعرفة المجردة، بل المعرفة المثمرة التي تتلاقى فيها كلّ القوى الإنسانية لخير الإنسان، وإنما يكون التعارف لخير الإنسانية إذا قدّم أهل كلّ إقليم ما عندهم من خيرات الأرض وثمراتها لغيرهم، وبذلك تتبادل المنافع وينتفع أهل كلّ إقليم بما عند غيره، ويقدم له ما عنده من خير، وبذلك ينتفع ابن الأرض بخير الأرض كلها، وذلك هو التعارف الذي أشار إليه النص الكريم"[12].

وإن أول مظهرٍ للتعارف الذي هو الغاية المثلى من اختلاف الأجناس والألوان هو التسامح الذي يؤدي إلى التعاون، وإن التعاون هو مظهر التلاقي النفسي في المجتمعات صغيرِها وكبيرها، وهو مظهر التلاقي النفسي والتعارف العملي في الأسرة الإنسانية، وإن قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: 2]. قد خوطب به المؤمنون بالنسبة إلى جميع بني الإنسان؛ ولذلك كان النص على النهي عن العدوان، ولو مع المعتدين؛

إذ النص الكامل هو قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

ومن ثم فإن التسامح الديني والإنساني في الوحي الرباني، فضيلةٌ أخلاقية، وقيمة إنسانية حضارية، وضرورة عالمية، وسبيل لتدبير الاختلاف وإدارته، فرسالة الإسلام عالميةٌ إنسانية تتجه إلى الناس كافة، رسالةٌ تأمر بإقامة العدل وتنهى عن الظلم والفحشاء والمنكر، وتُرسي دعائم السلام العالمي والأمن الاجتماعي في الأوطان، وتدعو إلى التسامح بين الناس جميعا بغض النظر عن أصولهم ولغاتهم وأعراقهم.. فهم جميعا من أصل واحد ونفس إنسانية واحدة، لقوله جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾(النساء: 1).

هكذا يدعو المنهاج القرآني إلى الإنسانية والتسامح الديني ويحض عليه، ويعترف بما قبله من كتب سماوية صحيحة، ولا ينال من عقيدة الآخرين، بل ينظر دائما إليهم بعين التسامح.

2) منزلة التسامح في الحديث النبوي الشريف:

لقد دعا النبي المصطفى ﷺ إلى التسامح الديني والإنساني وطبقه عمليا في حياته وفي معاملاته للآخرين:

فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه ﷺ قال: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ**» قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ**»[13].

فإذا كان أصلُ البشرية واحد، ودينهم واحد، ومشتركهم الإنساني واحد، فإن هذا يدعو إلى التسامح الديني والإنساني بينهم، لا إلى التنازع والتناحر والتعصب المقيت والكراهية المدمرة لبني آدم.

ويؤكد النبي ﷺ قيمةَ التسامح بين الأديان فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو ﷺ أنه ﷺ قال: «**من قتل نفسًا معاهدًا لم يَرَح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما**»[14].

وقال ﷺ: «**ألا مَن ظَلَم مُعاهِدًا أو انتَقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه أو أخَذ منهُ شيئاً بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ**»[15].

لقد كفل رسول الإسلام ﷺ لغير المتدينين بدينه في بلاده عقيدتَهم وحافظ على مكانة رهبانهم وقسيسيهم، وعلى أماكن عبادتهم من العبث والهدم والتخريب.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: "بيْنما يهوديٌّ يعْرض سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بها شيئًا كَرِهَهُ فقال: لا والَّذي اصْطَفى موسى على البَشَرِ فسمِعَهُ رَجُلٌ من الأَنْصارِ فقام فلطم وَجْهَهُ وقال: تقُولُ: والَّذي اصطفى موسى على البشَرِ والنَّبيُّ ﷺ بين أَظْهُرِنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسِمِ، إنَّ لي ذِمَّةً وَعَهْدًا فما بالُ فُلاَنٍ لطم وجهي؟ فقال: »لِمَ لطمتَ وجهَهُ؟« فذكرَهُ فغضب النبيّ ﷺ حتَّى رُئِي في وجهه، ثمَّ قال: «**لا تُفَضِّلوا بين أنبياء الله فإنَّهُ يُنفخُ في الصُّورِ فيصْعقُ مَنْ في السَّمواتِ ومَن في الأرض إلاَّ مَن شاء الله، ثمَّ يُنفخ فيه أخرى فأكون أوَّل مَن بُعِث فإذا موسى آخذٌ بالعرْش فلا أدْري أحُوسِبَ بصعْقتِهِ يوم الطُّورِ أم بُعِثَ قبْلي**»"[16].

وقد جاء في كتابه ﷺ إلى ملوك حِمْيَر: «**وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم. ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُردُّ عنها وعليه الجزية**»[17].

بل إن النبي ﷺ ينهى عن استثارة مشاعر العداء والكراهية لدى غير المتدينين بدين الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ابْنِ متى** »[18].

وقد سجَّل التاريخ الإسلاميّ صورًا ناصعة في تأمين احتياجات غير المسلمين في المجتمع الإسلاميّ الإنساني. من ذلك في عهد النبي ﷺ ما رواه أبو عبيد في كتاب الأموال عن سعيد بن المسيب: أنَّ رسول الله ﷺ تصدَّق بصدقة على أهل بيت من اليهود، فهي تُجْرَي عليهم. ويضيف أبو عبيد أنَّ صفيّة زوجَ النبي ﷺ تصدَّقت على ذوي قرابة لها، فهما يهوديان[19].

وقد مرت بالنبي ﷺ جنازة يهودي فقاما لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «**أليست نفسًا**»[20].

هكذا يقف ﷺ لجنازة يهودي. وحين ظن مع كان معه من المسلمين أنه إنما فعل ذلك لعدم معرفته بالمتوفى، طبع بخاتمه الشريف رسالة خالدة «**أليست نفسا**». في إشارة واضحة جلية أنه دائما يوجد ما يجمعنا لنتعايش، يوجد ما يوحدنا لنحيا معا. **إنها الإنسانية** القائمة على دعامة التسامح.

وهذه الجملة التي نطق بها من أوتي جوامع الكلم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، في كلمة جامعة: «**أليست نفسا**». تختزل منهج التعامل مع الناس جميعا، مهما كان دينهم أو اتجاههم أو لغتهم أو جنسهم.. جملة تلغي الكراهية والعنصرية والتكبر والسخرية والتعصب وحمية الجاهلة والتمييز الديني والعرقي والطائفي.

ومن ثم فإن المجتمع المتعدد الأديان والأعراق والأجناس الذي بناه رسول الإسلام والسلام ﷺ لم يبنه على القهر والإكراه والعنف والتعصب وفرض اللون الواحد الذي يحول دون الاستقرار والأمن المجتمعي، بل بناه على التسامح والتعارف والتعاون وحسنِ الظن والحوار والاحترام المتبادل، والعدلِ والمساواة، والحرية وترسيخ قيم المشترك الديني والسلم الاجتماعي وغير ذلك..

لقد بُعث خير الأنام عليه الصلاة والسلام ليظلل العالم كلَّه بظلال هداه، ويقيم فيه الأمن والسلام، ويجمع البشرية جمعاء تحت لواء الله إخوة متسامحين متعاونين متعارفين.

هذه هي قيم الإسلام الدينية الحضارية في معاملة المخالفين له، وهي مما تفرد به هذا الدين القيم ونظرته إلى الشرائع السابقة باعتبار وحدةِ أصلِها ووحدة غاياتها... بهذه الرؤيةِ الشاملة أسس المنهاج النبوي لعمران إنساني مشترك، ومجتمع آمن يسع الجميع من غير تعصب للدين أو العقيدة أو العرق أو اللغة..

ذلك بأن المنهاج النبوي بفطرته وهداياته وقيمه الرفيعة وأخلاقه العالية، وتجربتِه التاريخية المشرقة، لم يشرّع العدوان على المختلف معنا عرقا ودينا ووطنا، ولم يؤسس للتمييز الطائفي ضده؛ بل شرَّع منظومةً أخلاقية قيمية سلوكية كاملة في التعامل مع المختلفين معنا في الدين، وحث المسلمين على الالتزام بها وجعلها سمةَ شخصيتهم الخاصة والعامة، وأمرهم دائما وأبدا بالبر والإحسان والتعارف والتسامح والعيش السلمي والقول

الحسن والأمانة وكف الأذى والتعاون مع الذين لم يعتدوا عليهم مهما اختلفوا معنا في عبادتهم وفكرهم وثقافتهم وأعرافهم وديارهم.

وإن المسلمين عبر التاريخ لم يقاتلوا غيرهم حملا لهم على اعتناق الإسلام؛ وإنما قاتلوا المعتدين عليهم ليؤمنوا حرية الدين والعقيدة ويحفظوا للإنسان إنسانيته، وقاتلوا ليقيموا في الأرض قيم التسامح والعيش السلمي.

وبناء على ما تقدم؛ فإن حلف الفضول، والسماح بالهجرة إلى أرض الصدق والعدل (الحبشة) لوجود ملك لا يظلم عنده الناس، وصحيفةَ المدينة، وصلح الحديبية، وميثاق نصارى نجران، ومراسلة الملوك والأمراء والزعماء وغيرَ ذلك، كلُّها معالمُ رئيسةٌ لكيفية التعامل والتعارف والتسامح مع المختلفين في الدين والعقيدة والعرق..

بهذه المنظومةِ الأخلاقية الحضارية كانت رسالةُ الإسلامِ عالميةً وصالحة لكل زمان ومكان؛ إذ "العالميةُ تواصل وإخاء وتراحم وتبادل عادل للمنافع، وسلام بين بني الإنسان، على عكس من العولمة؛ فهي استعلاء وهيمنة وسيطرة واستغلال، ومطامع وحروب عالمية بكل أنواعها"[21].

وبذلك يكون التسامحُ الديني والإنساني مقصَدا شرعيا لتحقيق العيش السلمي المشترك بين الناس كافة؛ من أجل أن يعم العالم الأمنُ والأمان والاستقرار والسلام، وتندثر الكراهية والتعصب.

المبحث الثاني: قيمة التسامح في الممارسة النبوية

حين قدم النبي ﷺ المدينةَ وجد فيها جماعاتٍ متفرقة، وطوائفَ متناحرة، فكوَّن منها مجتمعا جديدا موحدا يختلف من جميع مناحي حياته عن المجتمع الجاهلي، ويمتاز عن أي مجتمع يوجد في عالم الآدميين حينئذ، لأنه ارتكز في بنائه على الإسلام الذي حارب العصبية وهدم المبادئ الفاسدة، والنزاعات الضارة، وقضى على المشاحنات، والعداوة التي ولدتها، وأقام بناء المجتمع على أسس واضحة ودعائم قوية، سقطت معها القيم الاجتماعية الجاهلية التي كانت سببا في التناحر والظلم، وجمع بين المسلمين برباط وثيق هو الإيمان[22]، وجعل أساس العيش الآمن بين الأجناس جميعها قائما على التسامح الإنساني وحفظِ المشترك الديني.

ومن ثم فإن المنهاج النبوي لم يقم على اضطهاد المخالفين أو إقصائهم أو مصادرة حقوقهم، أو المساس بحرية دينهم... بل قام على التسامح الديني معهم على أساس متين في أسطع معانيه، فقد شكل أنموذجا للتسامح مع الأديان الأخرى ساطعةً أنوارُه على مدار التاريخ.

إن خير الأنام عليه الصلاة والسلام رفع راية السلام منذ اللحظةِ الأولى لبعثته الغراء، ولم يعلن حربًا إلا إذا دُفع إليها دفعًا. ولقد ظل ثلاثة عشر عاما في مكة المكرمة يدعو إلى الله في ظل السماحة والسلام، وتعرض المؤمنون بها لصنوف من الأذى والتعذيب والابتلاءات، ومع هذا كلِّه كان يأمر أصحابه ﷺ بالجنوح إلى السلم والأخذ بالعفو والإعراض عن الجاهلين. فليس هناك من دعا إلى السماحة والسلام كما دعا إليه خير البرية وأشرف الكائنات ﷺ، ولا قانونَ من القوانين الدولية القديمة والمعاصرة أقام الأسسَ المتينةَ الكبرى للتسامح الديني والسلام العالمي كما أقامها الإسلام. فترسيخ قيم التسامح الديني من أجل حفظ الأوطان هو مقصَده ﷺ دعوته، وأنشودةُ رسالته، ولم تكن معاركُه في الواقع إلا وسيلةً لإقرار هذا التسامح والسلام وحماية الوطن.

ولما هاجر ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة جعله من أولوياته؛ حيث بدأ بوضع مقوماته ومرتكزاته وأسسه؛ فآخى بين المهاجرين والأنصار، من أجل الانصهار الاجتماعي بين أفراد مجتمع المدينة، وذوبان الفروق الاجتماعية بينهم، حتى تسودَ المحبةُ والمودة والأخوة في الوطن الجديد، وتنتفي الكراهية والتعصب فيتعزز التسامح ويتحقق السلم في المجتمع والدولة.

وقد كان لهذا المبدأ العظيم (الأخوة) أكبرُ الأثر في نفوس أهل المدينة، وجعلهم يتحابون ويتماسكون ويفتدون بأرواحهم ويدافعون عنه بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة، فهو ﷺ لم يقر تفاوتًا بين البشر، بسبب مولد أو أصل، أو حسب أو نسب أو وراثة أو لون.

والاختلاف في الأنساب والأعراق والألوان لا يؤدي إلى اختلاف في حقوق المواطنة وواجباتها، فالكل أمام ميزان العدالة سواسية، وعندما طلب أشراف مكة من النبي ﷺ أن يجعل لهم مجلسًا غير مجلس العبيد والضعفاء، حتى لا يضمهم وإياهم مجلس واحد، بَيَّن رسول الله ﷺ أن جميع الناس متساوون في تلقي الوحي والهداية، ورفض كفار مكةَ وسادتها في ذلك الوقت أن يجلسوا مع العبيد، ومن يعتبرونهم ضعفاء أذلاء من أتباع محمد ﷺ.

لقد سعى رسول الله ﷺ سعيا متواصلا -في العهدين المكي والمدني- لبناء حقائق التسامح الديني والإنساني في الواقع، ولنا في أحلافه ومعاهداته، وكتبه ورسائله، وأخلاقه وقيمه دليل وبرهان صادقٌ على ذلك؛ حيث قبِل بالتعدد والتنوع والاختلاف، وتعامل معه بوصفه سرُّ جمالِ الكون والإنسان، وأحد المداخلِ الآساس لتحقيق التعارف الحضاري والتواصل الاجتماعي بين الرحم الإنسانية، من أجل بناء العمران الإنساني المشترك وحماية المجتمع من الكراهية والتعصب والعنف.

وكان الهدف الأسمى لكل الوثائق والمعاهدات والكتب والرسائل والأحلاف والأحكام النبوية إيجاد مجتمعٍ موحد تربطه أواصر الأخوة الإنسانية، والعدالةُ الاجتماعية، والرحمة والتسامح، والعلاقات الطيبة وسموُّ العشرة.

وبناء عليه، فلم يسجل التاريخ وقائع طائفية، أو تعصبا دينيا، أو كراهية للآخر، أو اقتتالا على أساس ديني أو عرقي في المجتمع الذي أقام دعائمه النبي ﷺ على أساس من وحي إلهي. كما لم يصدر عن سيدنا رسول الله ﷺ أو أصحابه الكرام ﷺ أيّ قول أو خطاب تحريضي طائفي يقوم على الكراهية وإقصاء الآخر المختلف معه - دينيا أو عرقيا-، بل كانت الثقافة السائدة والخطاب السائد هو خطاب الحوار والتعارف والتسامح والتعاون وغير ذلك من القيم الحضارية الراقية.. يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾[آل عمران: 64].. إنه أول نداء عالمي للتسامح الديني والتعايش الإنساني بين الشعوب المختلفة والأجناس المتنوعة والطوائف الدينية المتعددة.. وأكثر من ذلك جعل القرآن الكريم أسلوب الحوار مع أهل الكتاب على أساس: ﴿**وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [العنكبوت: 46].. وقد عمل النبي ﷺ بتوجيهات الوحي الإلهي في بناء مجتمع يقوم على العيش السلمي الآمن بين جميع عناصره كما يتجلى ذلك في معاهداته ﷺ وكتبه ووثائقه الآتية:

1) صحيفة المدينة:

لقد نفذ ﷺ مبدأ التعاون الدولي بعد هجرته إلى المدينة المنورة بقدومه، وعقد حلفا مع اليهود أساسه التسامح الديني والتعاون على البر وحماية الفضيلة، ومنع الأذى.. يتجلى ذلك في

صحيفة المدينة التي وضعها نبي السلام ﷺ- وفق توجيهات الوحي الإلهي- لكل فئات مجتمع المدينة، وضمَّنها أهل الكتاب من اليهود، وهي بمثابة وثيقة دستورية تنظم شؤون المجتمع الجديد، وتهدف إلى حمايته وتحقيق أمنه وتماسكه واستقراره.. وحفظ مواطنيه - مختلف أعراقهم وأصولهم وأديانهم-...

وهذه أهم البنود المتعلقة باليهود والتي تفصح عن التسامح الديني في المنهاج النبوي:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ -ﷺ-، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ.

.... وَإِنّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنّ لَهُ النّصْرَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ.

- وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُم وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُم مَوَالِيهِم وَأَنْفُسُهُم إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ[23] إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّار مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف.

- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف.

- وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

- وَإِنّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

- وَإِنّ لِبَنِي الشّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

- وَإِنّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

- وَإِنّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ.

- وَإِنّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَالنّصِيحَةَ وَالْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

- وَإِنّ يَهُودَ الْأَوْسِ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ . مَعَ الْبِرّ الْمَحْضِ؟ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ»[24].

إن إصدار هذه الوثيقةِ النبوية الدستورية يمثل تطورا كبيرا في مفاهيم الاجتماع السياسية، فهذا وطنٌ يقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة وعلى غير أساسِ رابطةِ الدم، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين، ثم ترابطت هذه الجماعةُ المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياةَ في المدينة إلى أمد ولأول مرة بحكم القانون؛ حيث تُردُّ الأمورُ إلى الدولة، ومن خلال تغيير شامل وتحولٍ سريع طوى الدستورُ صفحةً اجتماعيةً طابعها القبلية، وفتح صفحةً جديدة أكثرَ إيجابيةً وأقرب إلى الترابط والتكافل والتسامح والوحدة الفكرية[25].

يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: "وهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة، لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدى العادين ومدبري الفتن، أيا كان دينهم"[26].

وهكذا كانت صحيفة المدينة المنورة؛ إذ هي "أول عقد اجتماعي وسياسي ديني حقيقي- ليس مفترضا أو متوهما- يكتفي بالاعتراف بالآخر، وإنما يجعل الآخر جُزءًا من الرعية والأمة والدولة- أي جزءاً من الذات- له كل الحقوق، وعليه كل الواجبات، وذلك في زمن لم يكن فيه طرف يعترف بالآخر على وجه التعميم والإطلاق"[27].

ولذلك نجد في مواد هذا الدستور التي تبلغ اثنتين وخمسين مادة.. الحديثَ فيها عن اليهود في أربع عشرةَ مادةً.. وفي هذه المواد تقنين لدمج اليهود في رعية الدولة، واعتبارُهم (أمة مع المؤمنين) -المهاجرين والأنصار-، وتقنين المساواة بينهم وبين المؤمنين في الحقوق والواجبات.. مع تقنينِ حقِّهم الكاملِ في الاعتقاد الديني الذي يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين.. فنقرأ في هذه المواد الدستورية أرقى صورِ التقنين للاعتراف بالمختلف معنا في الدين أو العرق، ومساواة الأقلية للأغلبية.. وتقرير التعددية الدينية في رعية الدولة الواحدة[28].

أضف إلى ذلك أن صحيفة المدينة اهتمت بتوثيق الروابط بين الناس وتقوية العلاقات بين الجيران والعيش معهم، والتسامح فيما بينهم، إيمانا منها بضرورة التقريب بين الأسر الإنسانية بكل وسيلة، فجعلت صلة الجوار جنبا إلى جنب مع صلة الإنسان لأقرب المقربين إليه وهي نفسه، على أن لا يسبب هذا الجار ضررا ولا إثما، وقد بلغ الأمر في الإسلام أن جعل إكرام الجار آية من آيات الإيمان الصادق والتدين الأكيد[29].

لقد اعتبرت الصحيفةُ اليهودَ جزءا من الوطن الجديد، وعنصرًا من عناصره ولذلك قيل في الصحيفة: «وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم»[30]. ثم زاد هذا الحكمُ إيضاحا بقوله: « وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ **لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ**»[31].

ذلك بأن من أروع مظاهر التسامح الديني والإخاء الإنساني في السيرة النبوية الحريةَ الدينيةَ. لذلك لم يحمل عليه الصلاة والسلام السيف ليكره الناس على اعتناق الدين؛ ولم ينتشر السيفُ على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه! إنما جاهد ليقيم مجتمعا آمنا من آفات التعصب والكراهية يأمن في ظله أصحابُ الأديانِ جميعا، ويعيشون في ظله آمنين وإن لم يعتنقوه؛ إذ المجتمع أخوةٌ وتسامح، وتراحم وتعاون.

وهكذا يعتبر التسامح الديني والإنساني من أهم الأصول التي أكدتها الوثيقةُ النبوية في السياسة الداخلية والخارجية مع الآخر... حيث لم يجد النبي ﷺ حرجا من أن يساكنَه من لا يتفق معهم في الدين، ومن ثم نظر إلى من عاهدهم من اليهود على أنهم أصبحوا من الناحية السياسية أو الجنسية كالمسلمين الذين يعيشون معهم في دار واحدة فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. وإن ظلوا من الناحية الشخصية على عقائدهم وعباداتهم وأحوالهم الخاصة[32].

وعليه؛ فإن التسامح الديني والإنساني سمةٌ بارزة في هذه الوثيقة الدستورية النبوية لم تعهدها الأمم من قبل ولا من بعد، فالتاريخ يُثبِت أن اليهود قد قُهروا وشرِّدوا في كل أنحاء العالم نتيجة التعصب، لكن في ظل دستورِ المدينة المنورة أصبحوا كلُّهم آمنين محميين من الإكراه الديني، وكذلك النصارى والوثنيين وباقي أهل الملل والنحل الأخرى.

بهذه الصفحة الشديدةِ الإشراق والتألق فتح الإسلام كتاب العلاقة السلمية مع اليهود - القائمة على التسامح الإنساني- عندما قننت الدولة الإسلامية الحرية الدينية، والتعددية الدينية، والمساواة في حقوق المواطنة، في داخل الأمة الواحدة والدولة الواحدة.

وحتى بعد نقض اليهود العبرانيين لعهودهم مع سيدنا رسول الله ﷺ، ومع الوطن، وخيانتهم العظمى للمسلمين في مواطن عديدة، وتأليبهم لأعداء المسلمين على المسلمين، وتآمرهم وخياناتهم المتوالية.. لم يغير المسلمون الموقفَ الإسلامي من اليهود.. لقد أمَّنوا قاعدة الوطن الإسلامي، بإجلاء الخونة من اليهود عن هذه القاعدةِ وعقاب المعتدين منهم بمقتضى نص الدستور، ثم تركوا أبواب المدن الإسلامية والولايات الإسلامية مفتوحة أمام اليهود، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم[33].

لقد أقرت الصحيفة النبويةُ مفهومَ التسامح الديني والإنساني بأوسع معانيه وضربت عرض الحائط التعصبَ ومصادرةَ الآراء والمعتقدات والحقوق، ولم تكن المسألةُ مسألةَ تكتيك مرحلي ريثما يتسنى للنبي ﷺ تصفية أعدائه في الخارج لكي يبدأ تصفية أخرى إزاء أولئك الذين عاهدهم.. وحاشاه.. إنما صدَر هذا الموقفُ السَّمحُ المنفتح عن مبدأ أصيل في المنهاج النبوي تطبيقا للوحي الإلهي الذي أمر المسلمين بالتسامح مع الآخر -الذي سالمهم ولم يعتد عليهم- والبر به والإحسان إليه.

2) سماحة النبي ﷺ مع اليهود يوم خيبر:

كان من بين ما غَنِمَ المسلمون من يهود خيبرَ عدةُ صحفٍ من التوراة فطلب اليهودُ ردها، فأمر رسول الله ﷺ بتسليمها إليهم، ولم يصنع ما صنع الرومان حينما فتحوا أورشليم وأحرقوا الكتب المقدسة وداسُوها بأرجلهم، ولا ما صنع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا صحف التوراة، ولا كما فعل التتار بكتب المسلمين؛ إذ أَلقَوها في نهر دجلة حتى اسودَّ، ولا ما فعل ريتشارد قلب الأسد يوم أن قتل ثلاثة آلاف أسير مسلم بعدما أعطاهم الأمان، ولا ما فعل الإسبان بالمسلمين في محاكم التفتيش، ولا ما فعل بعض قساوسة الأمريكان لما أحرقوا المصاحف ومزقوها أمام كنائسهم..[34].

إذا كان تعامل النبي ﷺ مع اليهود بالحسنى، فكذلك كان تعامله مع النصارى، حيث فتح ﷺ لوفد نصارى نجران (سنة 10هـ/631م) أبواب مسجده ﷺ بالمدينة المنورة، فصلوا فيه صلاتهم، مولّين وجوهَهم قبل المشرق، ثم تركهم وما يدينون، وذلك مبدأ أساسٌ في ديننا الحنيف الذي يدعو إلى التسامح الديني والسلام العالمي والسلم الأهلي بين فئات الوطن بمختلف عقائدها وأجناسها وأصولها.

وهكذا يعتبر التسامح الديني من أهم الأصول التي أكدتها الوثيقةُ النبوية في السياسة الخارجية مع الآخر... حيث لم يجد النبي ﷺ حرجا من أن يساكنَه من لا يتفق معهم في الدين، ومن ثم نظر إلى من عاهدهم من اليهود على أنهم أصبحوا من الناحية السياسية أو المجتمعية كالمسلمين الذين يعيشون معهم في دار واحدة فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. وإن ظلوا من الناحية الشخصية على عقائدهم وعباداتهم وأحوالهم الخاصة[35].

3) عهده ﷺ لنصارى نجران:

كتب ﷺ لنصارى نجران كتابا وعهدا. ومما جاء فيه: "ولنجران وحاشيتها، جوار الله وذمّة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملّتهم، وغائبهم، وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم وكلّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغيّر أسقف من أسقفيّته ولا راهب من رهبانيّته ولا كاهن من كهانته. وليس عليهم ربّيّة، ولا دم جاهلية. ولا يحشرون[36]، ولا يعشرون[37]، ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين...

وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله، وذمّة محمد النبي رسول الله، حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم، غير مثقلين بظلم.

... وإذا صارت النصرانية عند المسلم فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك، فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين.

ولهم إن احتاجوا في مرمَّة بِيَعهم وصوامعهم أو أي شيء من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رِفْد من المسلمين وتقوية لهم على مرمَّتها، أن يَرْفدوا على ذلك ويُعَاوَنوا، ولا يكون ذلك ديناً عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله، وموهبة لهم، ومنَّة لله

ورسوله عليهم.. لأني أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذبّ عن الحُرمة، واستوجبوا أن يُذبّ عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم... [38].

لقد برز التسامح الديني والإنساني في هذا العهد النبوي جليا واضحا؛ فقد أباح الإسلام للمسلم الزواجَ بالكتابية المحصَنة وحفِظ لها كاملَ الحريةِ والاختيار في الاعتقاد الديني، وفي إقامة شعائر دينها، وفي تكليف زوجها المسلمِ أن ييسر لها الذهابَ إلى دور عبادتها، والأخذِ عن رؤساء دينها، وعدمِ منعها من زيارات أهلها، عملا بمبدأ التسامح الذي قرره الإسلام.

إن عهده ﷺ لنصارى نجران أنموذج فريد ما زال التاريخُ العالمي يذكره، وجعلها كلمةً باقية إلى يوم الدين لا يحيد عنها إلا من ظلم نفسه.

وبهذا استوعب الإسلامُ جميعَ الطوائف الدينية الأخرى وسمح لها بالوجود والتمتع بممارسة طقوسها الدينية، وكفل حقوقها كلَّها بالعدل والمساواة.

تلك هي صورةُ مكانةِ (الآخر النصراني) في المجتمع الإسلامي الأول، "كما حددتها ورسمت معالمَها معاهدات رسول الله ﷺ مع النصارى - (من أهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض).. لقد قرر لهم الإسلامُ ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. فجعل هذا (الآخرُ) جزءا من (الذات)، ذاتِ الأمةِ الواحدة والرعية المتحدة في حقوق المواطنة وواجباتها، مع حرية التعدد والاختلاف في الدين، دون أدنى تمييز أو إكراه.." [39].

كما **كتب النبي ﷺ كتابا** لأبي الحارث بن علقمة **أسقف نجران**: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النّبي، إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ومن تبعهم، ورهبانهم:

إنّ لهم ما تحت أيديهم، من قليل وكثير من بيعهم، وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله. لا يغيّر أسقف من أسقفيّته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته. ولا يغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه. [على ذلك جوار الله ورسوله أبدا]، ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين» [40].

وجاء في **معاهدته ﷺ لبني جبنة وأهل مقنا**: «أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ نَزَلَ عَلَيَّ آيتكم[41] رَاجِعِينَ إِلَى قَرْيَتِكُمْ، فَإِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِي هَذَا فَإِنَّكُمْ آمِنُونَ، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ غَافِرٌ لَكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَكُلَّ ذُنُوبِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ لَا ظُلْمَ عَلَيْكُمْ، وَلَا عِدًى، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَارُكُمْ مِمَّا مَنَعَ مِنْهُ نَفْسَهُ...

أَمَّا بَعْدُ، فَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مَنْ أَطْلَعَ أَهْلَ مَقْنَا بِخَيْرٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَمَنْ أَطْلَعَهُمْ بِشَرٍ فَهُوَ شَرٌّ لَهُ»[42].

وقد تجسد في كتبه ﷺ هذه، جوهرُ الإسلام الذي يقر بسنة الاختلاف والتنوع في الآراء والمعتقدات والاعتراف بالإنسان مهما كان دينُه أو عرقه، وينبذ سياسة الاقصاء وخطاب الكراهية وثقافة التعصب.

لقد نجح رسول الله ﷺ في ترسيخ مبادئ التسامح الديني والإنساني في مجتمع المدينة المنورة؛ لأن الأرضية التي أقيم عليها والقيادةَ التي خططته ونفذته استكملت كلَّ شروطِ النجاح في مجتمع فتي يحكمه مبدأُ العطاءِ قبل الأخذ، وتشدُّه أواصرُ الأخوة الإنسانيةِ ويوجهه الإيمان العميق في كل حركاته وأعماله وفاعلياته، ويقوده الرسول (الأسوة) ﷺ الذي هو الأنموذج الكامل في أخلاقه وتسامحه.

4)**التسامح مع قريش.**

أما سعيُه ﷺ لترسيخ مرتكزات التسامح الإنساني مع قريش فيتجلى في صلح الحديبية؛ هذا الصلح الذي يعتبر دليلا شامخا على أن الدعوة إلى أخلاق التسامح مبدأ أصيل في الإسلام وفي علاقات المسلمين بالآخر.

وهذا نص الصلح:

- باسمك اللهم.

- هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.

- واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.

- على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجًّا أو معتمرًا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازًا إلى مصر أو إلى الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله.

- على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه.

- وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا إغلال.

- وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم).

- وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا تدخلها بغيرها.

- وعلى أن هذا الهدي ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا.

- أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين:

فمن المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة.

ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو[43].

عُقدت هذه المعاهدةُ في الوقت الذي كان فيه المسلمون بمركز القوة لا الضَّعف، وكان باستطاعتهم ألا يقبلوا شروطَها التي اغتاظ منها كثير من الصحابة، ولكن ما كان لهم أن يخرجوا عن طوع رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وقد تمادى رسولُ قريشٍ على رسول الله ﷺ في مفاوضته، وكان فردًا بين جيش المسلمين، فلم ينله أذًى، ولم يتماد عليه المسلمون بالقتل (لأن السفراء لا تقتل) ولكن رسولَ الله ﷺ يُرضيه، ويسَعه بالحِلم واللين، حتى يصل إلى الغاية التي ينشدها الإسلام، وهي حَقنُ الدماء، وحماية الأوطان وإحلال السلامِ فيها[44].

قبل النبي ﷺ بشروط الصلح وفيها بعض البنود المجحفة بالمسلمين، ليس عن ضَعف، فقد كان معه جيش يستطيع أن يدك عليهم ديارهم، ولكنها الحكمةُ النبوية آثر السماحة وحقن الدماء وحماية الوطن، وحفظ البلد الحرام.. ولم يكن ذلك قبولا للدنية، ولكنه الهدى النبوي الذي حث على الصبر بدل القتل والقتال، والسماحة بدل العنف، وتأجيل في رفق خيرٌ من تعجيل في عنف[45]. وبذلك أرسى ﷺ قواعدَ التسامح والعيش الإنساني الآمن مع قريش.

وهكذا فرغم قتالِ قريشٍ للنبي ﷺ ومحاربتِهم له سنين طوالًا، فقد جَنَحَ للسِّلم والسماحة، حفظا لوطن مكة المكرمة وللنفس الإنسانية، وحرصا منه ﷺ على نبذ القتال وإطفاء فتيل الحروب التي تخرب المجتمعات وتَهْدِمُ بناءَ الإنسان، وخيرُ دليلٍ على هذا قوله ﷺ يوم الحديبية: «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها»[46].

ويومَ **الفتح الأعظم لمكة المكرمة** الذي تحقق بعد صراع مرير مع الباطل، وبعد أن فعلت قريش برسول الله ﷺ وأصحابه ما فعلت، وسلكت معهم كلَّ طرق الإيذاء والتعذيب والتنكيل.. آذوه ﷺ وآذوا أصحابه وعذبوهم، وقاطعوه وعشيرته ومن آمن به في شِعْب مكةَ لثلاث سنوات، أكلوا خلالها العشب والجذور وأوراق الأشجار، حتى هلك منهم الأطفال والشيوخُ من الجوع.. ولم يكتف أولئك بهذا بل اضطروهم لترك بيوتهم ووطنهم مكة والهجرةِ إلى أماكنَ أخرى بعيدة.. ولم يتركوهم في راحة هناك فبدسائسهم المختلفةِ سلبوا منهم الراحةَ والاطمئنان.. وحرَموهم حتى من أبسط حقوقهم كزيارة الكعبة البيت الحرام..

لكن عندما انتصر عليهم ﷺ، وأحاط بهم إحاطةَ السِّوار بالمِعْصَم، وظنت قريش الظنونَ؛ لعلمهم بسوء تدبيرهم السابق، ومكرهم المتواصل، وكراهيتهم للإسلام ونبيه ﷺ وأتباعه، وحسِبوا أنه سيدخل مكةَ البلدَ الحرام دخول الجبابرة والطغاة مزهوا منتقما من أعدائه، لكنه ﷺ فاجأهم بأن جاء متواضعا متخشعا لربه جل وعلا، غيرَ مزهو بنصر، ولا شامتٍ بأعدائه، ولا مقتص منهم.

وعندما رأى قريشا وهم يتوقعون الإجهاز عليهم، ورأى جموع الصحابة الكرام ﷺ وهم ينتظرون أدنى إشارة منه ﷺ حتى يبيدوا خضراء قريش قال النبي ﷺ مخاطبا قريشا: «**ما تظنون أني فاعل بكم**»؟

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[47].

وقال لهم ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف: 92].

لم يقابل النبي ﷺ الكراهية بالكراهية والعنف، وإنما كان ﷺ حريصا على التسامح والعفو العام؛ من أجل حفظ البلد الحرام وتأليف القلوبِ وتوحيد كلمتها لتقبل على الإسلام دين التسامح والسلام، ورسالة الحرية والإنسانية، فلم يكن من السهل على قريش أن تقبل بمصيرها الذي آلت إليه وهي سيدةُ العرب دون منازع لأنها أعظمهم حضارة وأشدهم بأسا وأكثرهم مالا وفي بلدها البيت الحرام، ليس من السهل أن تقبل قريش بمصيرها هذا وتقبل على الإسلام طائعة وتحمل رايات الجهاد لو لم تعامل هذه المعاملة السلمية التي لم تكن تتوقعها، وبذلك انقلب موقفها من أشد الناس عداوة للإسلام إلى أحرص الناس على رفع راية الإسلام[48].

ولما دخل ﷺ مكة فاتحا، رفع الشعار العام: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»[49].

وجعل ﷺ لدار أبي سفيان مكانة خاصة كي يكون أبو سفيان ساعده في إقناع المكيين بالسلم والهدوء وحفظ البلد الحرام، وليفتح أمامه الطريق إلى مكة دون إراقة دماء، ويشبع في نفسه عاطفة الفخر التي يحبها أبو سفيان حتى يتمكن الإيمان من قلبه[50].

ولما قال سعد بن عبادة رضي الله عنه حامل راية الأنصار في جيش المسلمين: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة»، فقال رسول الله ﷺ: «كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة»[51].

لقد "كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى"[52].

لقد قابل سيدنا رسولُ الله ﷺ قسوة قريش وحميتها الجاهلية وجبروتَها مع المسلمين في مكة عندما دخلها فاتحًا بالتسامح والعفو؛ وذلك من أجل تحقيق السلم الاجتماعي في المجتمع المكي بعدما حققه في مجتمع المدينة المنورة؛ فحُفظ الدين، وحُفظت الأنفس والحرمات، وصينت الدماء، وشاعت المحبة والأخوة بين الناس على اختلاف عقائدهم وألوانهم وأعراقهم، وبهذا تحمى الأوطان..

لقد كان المنهاج النبوي منهاجا شموليا ورحمة للعالمين؛ فأرسى بذلك قواعد التسامح والسلام العالمي والعيش المشترك مع الآخر مهما كان جنسه أو معتقدُه...

وزبدة الكلام: إن كل المعاهدات والأحاديثِ النبوية السابقة ترسم لنا صورةً راقية عن التسامح الديني والإنساني في الإسلام وتجلياتِه ومظاهره في السيرة النبوية العطرة.

ولقد اعترف المنصفون من الغربيين للإسلام بتسامحه الفريد مع الأديان الأخرى، يقول غوستاف لوبون: "إن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وإنه لم يقم بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله، كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وسار خلفاؤه على سنته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون، أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب"[53].

لقد مازج المسلمون أممًا مختلفةَ الأديان، دخلوا تحت سلطانهم من نصارى العرب، ومجوسِ الفرسِ، ويعاقبة القبط، وصابئة العراق، ويهود أريحا. فكانوا مع الجميع على أحسن ما يعامل به العشير عشيره. فتعلموا منهم وعلّموهم، وترجموا كتب علومهم، وجعلوا لهم الحرية في إقامة رسومهم، واستَبْقَوا لهم عوائدهم المتولّدة عن أديانهم[54].

وغاية المرام في تحقيق المقام: إن التاريخ لم يحفظ أن أمة سوّت رعاياها المخالفين لها في دينها برعاياها الأصليين مثلَ أمةِ المسلمين. تُصوِّر ذلك قوانينُ العدالةِ، ونَوالُ حظوظ الحياة بقاعدة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا..

ومما تقدم يتبين لنا مدى تسامح النبي ﷺ مع غير المسلمين، ودعوتِه إلى احترام عقائدهم وعاداتهم، والوفاء بحقوقهم وعهودهم، والإحسان إليهم في المعاملة والجوار، ونهيه عن التعصب والكراهيةِ والعنف.

المبحث الثالث: التسامح الديني والإنساني أساسا لمواجهة خطاب الكراهية

لا يمكن أن يدرَك عمقُ التسامح الديني والإنساني الذي جاء به الإسلام ومارسه النبي ﷺ؛ فحول مجتمع الكراهية وحمية الجاهلية إلى مجتمع التراحم والأخوة الإنسانية إلا إذا أعيد إلى سياقه التاريخي الذي تم فيه، وهو سياقٌ انعدمَ فيه أيُّ حديثٍ عن التسامح وأي مناداة بحقوق الآخرين في الاستمتاع بحرياتهم الدينية وبالعيش على النمط الذي يختارونه لأنفسهم.

ومن هذه الزاوية يجب أن يُنظر إلى الإسلام أنه لا يؤمن بالتسامح الديني فحسب؛ وإنما تفرد به في محيط عالمي كان يعيش ثقافةً أخرى مناقضةً -ثقافة الكراهية والعنصرية والعنف والاقتتال-، وتفرد بتشريعاته وحض عليه وجعله من التكاليف الشرعية.

وسمة التسامح في الإسلام لا يمكن أن تُعرف قيمتُها أيضا إلا حينما توضع بإزاء وضع مخالف عاشته ثقافات أخرى تمكنت من التغلب في بعض فترات التاريخ على بعض المناطق التي حكمها المسلمون، فاتجهت في إصرار عجيب وإجماع مجتمعي مطلق على تنفيذ سياسة الاستئصال الديني والعرقي والاجتثاث الحضاري، والإكراه الديني، والتعصب المقيت، والعنصرية المدمرة؛ فرفضت أن يعايشها من لا يؤمن بدينها فضلا عن أن تكون له حقوق في ظلها، وعملت على طمس كلِّ أثر مادي أو علمي يشهد للمستوى المعرفي والفني الذي بلغه العمران البشري الإسلامي زمن تألقه.

وهكذا وضعت هذه الثقافة المسلمين أمام خيارات صعبة هي خيارُ التحولِ عن الدين أو الإقصاء والتشرد عن الوطن أو التعرض للموت والزوال، فكانت مرحلةً دمويةً لا زالت الرسوم والتماثيل المحفوظة في المتاحف، والمجسمات المنصوبة في الميادين العامة، ودورُ الثقافة تشهد على طبيعة الثقافة التي آمن بها الناس.

ولقد خسر العالمُ بسبب روح التعصب وخطاب الكراهية تراثا إنسانيا كبيرا.

ووجه التمييز بين المتدينين حقا بالإسلام وقيمه الدينية وأخلاقه والإنسانية والحضارية وغيرهم أن الإنسان المسلمَ يجد في شرعه الحنيف وسنة نبيه الأمين ﷺ ما يردعه ويمنعه من أن يعتدي على حقوق غير المسلمين وما يُدينه إن هو اعتدى. بينما كان غيرُ المسلمِ يجد السند القوي

لعنصريته وتعصبه وعدوانه على المسلمين في المؤسسات القائمة، ومنها المؤسسةُ الدينيةُ. بل إن الكثير من الأحكام الجائرة بحق المسلمين كانت تصدر عن المؤسسة الدينية[55].

من الواضح إذن أن الأسباب الدينية شكلت أبرز عناوين الكراهية والعنف والتمييز الطائفي والعرقي، ولعل الكراهية المنطلقة من خلفيات دينية هي أكثر أشكال العنف شراسة وضراوة. حيث تتحول الكراهية إلى عنف وحشي وإبادة جماعية وتطهير العرقي، ولا تنقضي هذه الكراهية بقتل الآخر فحسب، وإنما قد تصل في كثير من الأحيان إلى حد التمثيل بجثث الضحايا والتشهير بهم، وهو ما نراه في كثير من الجرائم الدولية، ويزيد تفاقم هذا الوضع هيمنة سياسة تسلطية أحادية التفكير ومتمركزة حول الذات، تمتلك شعورا مضمرا أو صريحا بالتفوق، مثل عقلية الفرقة الناجية، وشعب الله المختار، وغير ذلك من ألفاظ التعالي والتعصب العرقي والتمييز الطائفي والغرور والاستعلاء وفرض الهيمنة على الآخرين[56]، التي تؤدي إلى كراهية الآخر، وعدم الاعتراف به أو احترامه، ثم إقصائه وتهميشه، ثم إعلان الحرب عليه.

الأمر الذي يتطلب منا مواجهة هذا الواقع الذي تزايد فيه الاعتداء على الإنسان وعلى كرامة الإنسان ومصادرة حقه في الحياة بسبب الكراهية وما نتج عنها من نزاعات وتناحر واقتتال..

ولذلك فإن إشاعة قيم التسامح الديني والإنساني في المجتمعات، وتعزيزها في نفوس الأفراد، من شأنها أن تجنب الأجيال المعاناة الناجمة عن النزاعات المسلحة التي تحركها الكراهية والعنصرية المقيتة.

ذلك بأن قيم التسامح الديني والإنساني التي دعا إليها دين الإسلام هي التي تضبط علاقةَ الإنسان بعقائده وأفكاره، بحيث لا تصل إلى مستوى التعصب المقيت الذي يقود صاحبه إلى سفك الدماء وانتهاك الأعراض وتخريب الأوطان باسم القيم والعقيدة والدين.

وهنا يمكن القول: إن منظومة قيم التسامح الديني تحفظ للإنسان الكلياتِ الأساسية التي لا تستمر الحياةُ بدونها، ويستوي في هذا المسلمُ وغيرُ المسلم، فهي حقوق معصومةٌ لا تنتهك إلا بسبب شرعي.. ولا يعني التسامح الذوبان في الآخر، أو استبدال الهوية، أو تبنيا لثقافة الآخرين؛ وإنما هو اعتراف بحق الآخر في الحياة بنمطه الذي يريد، ودينه الذي يدين به، وبفكره الذي يفكر به.

والتسامح الإسلامي مبذول لكل الناس دون عنصرية أو كراهية أو عصبية دينية، ولا تفضيل لقوم على آخر، إلا بالتقوى وما يحقق من منافع للبشرية.. كما أن التسامح يحارب كل ألوان الكراهية؛ إذ الكراهية تدعو إلى الصراع الاجتماعي وتفرق بين الناس وتشعل نار الفتن بينهم.. في حين أن التسامح الإسلامي يدعو إلى أن يعيش العالم كله بشعوبه وعناصره في مجتمع واحد في أمن وسلام، وحرية وإخاء..

ذلك بأنه في الوقت الذي تشعر فيه الناس أنها متعاونون في استغلال كل ينابيع الثروة في الأرض، وأنهم متلاقون بقلوبهم المُحبة، وأعمالهم المتعاونة، تختفي روح العنصرية، وظلمة الكراهية التي جرت على العالم كله الويلات والمصائب.

وبناء على ما سبق، فإن التسامح يعني في نفس الوقت عدم الكراهية، بل ومواجهتها في كل مظاهرها وصورها وأشكالها، باعتبار الكراهية نقيضا للتسامح؛ لأنها تفضي إلى العنصرية والتعصب.. فكلما اتسعت مساحة التسامح ضاقت مساحة الكراهية، حتى تندثر كليا أو تحصر في زاوية ضيقة لا تقوم لها قائمة.

ولذلك يعتبر التسامح قوة لمواجهة الكراهية التي هي مبعث العنف والتعصب والتناحر والعنصرية وغير ذلك..

إن قيم التسامح الديني والإنساني تسهم إسهاما كبيرا في الحد من الكراهية وتحقق انعتاق الإنسان من سيطرة أخيه الإنسان، وحفظ المجتمع من آثارها التدميرية، وعواقبها الوخيمة؛ حيث ينشئ التسامحُ مجتمعا لا كراهية فيه ولا تعصب ولا طائفيةَ دينية ولا أحقاد..

ومن ثم فإن بالتسامح نستشرف آفاقا مستقبلية لأسرة إنسانية مشتركة تتعايش فيها الهويات الثقافية والأديان المختلفة والأعراق المتعددة في تكامل وتفاعل وتعاون، هوية تسع الأسرة الآدمية في مجموعها.

ذلك بأننا بخطاب التسامح نستلهم العناصر الجامعة بين الثقافات والأديان والأمم والشعوب، ونحافظ على القيم الحضارية والمشتركات الإنسانية الكبرى بين الآدميين جميعا، ونحد من خطاب الكراهية، ونقي مجتمعاتنا منه آفاته الخطيرة، وآثاره الشنيعة؛ من أجل أخوة إنسانية تكون أكثر تواصلا وتعايشًا وتراحما ووئاما وتعاونًا، وحضارة إنسانية واحدة في

أصلها وتركيبها، قوامها احترام الآخر والرضا بالتعددية والتنوع والاختلاف وحفظ الحقوق والخصوصيات الثقافية، والمساواة بين الناس جميعا؛ بحيث لا تزدري ثقافةٌ ثقافةً، ولا يلغي تَدَيُّنٌ تدينًا، ولا تبغي طائفة على أخرى، ولا عرق على عرق.

ومن ثم فإن خطاب التسامح يهدف إلى القضاء على ثقافة الكراهية وصناعة مستقبل التراحم الإنساني والسلام العالمي والأمن الاجتماعي، والتحرك نحو أفق واسع وعالم رحب ومستقر وآمن من العنف والكراهية والتناحر والاقتتال الذي يحرم الإنسانية من العيش في أمن وسلام.

ذلك بأن العودة إلى قيم التسامح بين الشعوب والثقافات، ستمكنها من الالتقاء بالأنموذج الإنساني المثالي للوحدة الآدمية الجامعة والحياة الجماعية المشتركة التي تسودها القيم العالية والأخلاق الرفيعة والعدالة الإنسانية...

وبناء على ما تقدم؛ فإن ترسيخ قيم التسامح الديني والإنساني في المجتمعات يجب أن ينطلق من هذه المنطلقات الثلاثة:

1- تقديم الرؤية الحقيقية لقيم الإسلام، عامة وقيم التسامح خاصة.

2- تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى الآخر حول رسالة الإسلام وأخلاقه وقيمه في التعامل مع الأديان المختلفة، والشعوب المتعددة، ومع الإنسانية جمعاء..

3- الدعوة إلى العمل المشترك بين أتباع الأديان والثقافات المختلفة والخبراء وذوي المروءات لتعزيز قيم التسامح والتعايش والإخاء والسلام في العالم، والتصدي لخطاب الكراهية.

كل هذا من أجل صناعة عالم آمن ملائم للإنسان - مهما كان دينه وعرقه-.. يعيش فيه بأمن وسلام. وبناء نسق حضاري واحد، ونظام عالمي منصف متعدد الأطراف، يجعل من العالم مجتمعا إنسانيا واحدا، تسوده قيم الإخاء والمساواة والتضامن والتعاون والاحترام وحفظ الكرامة الآدمية.

ومن ثم فإن نشر قيم التسامح الديني وتفعيل المشتركات الإنسانية واستثمارها كفيل بأن يزيل فتيل الكراهية بين الشعوب والأديان والثقافات والأعراق، ويقلل من النزاعات والحروب بينها، ويجهض خطاب الكراهية الذي ينذر بهلاك الإنسانية وتخريب ديارها.

خاتمة البحث:

بناء على ما تقدم نصل إلى الخلاصات الآتية:

- إن الإنسانيةَ اليوم في أمس الحاجة إلى إشاعة قيم التسامح الديني والإنساني بين الناس، باعتباره مدخلًا ناجعًا للحد من خطاب الكراهية المتنامي.
- إن الأقليات الدينية وأتباع الأديان الأخرى قد تمتعوا بكافة الحقوق في ظل التسامح الديني والإنساني الذي دعا إليه خيرُ الأنام عليه الصلاة والسلام، فكانوا يقيمون شعائرَهم الدِّينيةِ ويحافظون على مقدساتهم في حرية كاملة، ويعيشون في طوائف منفصلة عن بعضها مختلطين مع المسلمين.
- إن خطاب الكراهية ألعوبة في يد العابثين بسلام العالم وأمنه واستقراره، وانزلاق خطير نحو الهاوية، وإدخال لأتباع الأديان والعقائد والثقافات والأعراق في دهليز الفتن والتناحر والاقتتال والعنف لا يخرجون من ظلماته أبدا.
- إن العمران الإنساني المشترك أقامه دين واحد؛ لكنه كان للأديان جميعا، وللناس كافة، تؤمَنُ فيه حرماتهم وكرامتهم وكل حقوقِهم.
- إن التسامح الديني يقتضي عدم إيذاءِ أيِّ إنسان أو كراهيته بسبب دينه أو عرقه أو أصله أو معتقده... أو انتهاك عرضه، أو التعدي على ماله وحرماته، أو الاعتداءِ عليه بأي وسيلة، أو الإضرار به، أو قتله.. وقد حرم الشرع الحنيف قتل نفس معاهد أو ذمي أو أي نفس إنسانية بغير حق.
- إن الحلَّ لما تعيشه الأمم والمجتمعات والشعوب اليوم من كراهية بصورها الإقصائية العنصرية الطائفية المختلفة هو ما جاء به الوحي الرباني من قيم التسامح الديني والإنساني، وطُبِّق ذلك في أروع صوره زمن النبوة.
- إن البشرية في حاجة إلى "**ميثاق الإنسانية**" أو "**حلف الفضول**" من جديد: يصون الحرمات، ويمنع الاعتداء على الإنسان وعلى كرامة الإنسان وعلى أمن الإنسان، ويحفظ الكرامة الآدمية، ويوثق العلاقة بين الرحِمِ الإنسانية، ويدعو إلى استيعاب المشتركات

الإنسانية والدينية والعمل على تنميتها والحفاظ عليها، وتدبير الاختلاف المحيط بها بتسامح وتعاون واحترام.

- إن على الخبراء والمفكرين وذوي المروءات من كل الأديان والثقافات أن يقفوا سدا منيعا أمام مخططات الكراهية الماكرة ومطامعها الدنيئة حتى لا يتحول العالم إلى حلبة من الصراع يؤدي إلى الفتن والتناحر والاقتتال والخراب.

وفي الختام إن الحاجة ماسةٌ إلى الرجوع إلى قيم التسامح الديني والإنساني، وترسيخ ثقافتها في المجتمع؛ فحمايةُ المجتمعات وأمنُها والحفاظ على تماسكها واستقرارها لا يتحقق بسياسة الإقصاء ونَزَعات الاستفرادِ وخطاب الكراهية، وإنما بالتسامح والعيش المشترك واحترام الكرامة الإنسانية ومنع الأذى عنها.

وإنها لدعوةٌ للناس كافة ليلتفتوا إلى ذلك ويجعلوا هذه القيمَ الدينية والإنسانية والحضاريةَ منطلقا لغد مشرق ومستقبل زاهر وعمراني إنساني أخوي مشترك آمن يَسعُ الجميع.

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على حبيبنا محمد خير الأنام وآله وصحبه البررة الكرام.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.** برواية حفص عن عاصم.

1- الإسلام وأهل الذمة، علي حسني الخربوطلي، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (49)، القاهرة، 1389هـ/1969م.

2- الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، محمد عمارة، دار السلام القاهرة، ط1: 1433هـ/2012م.

3- الإسلام وحركة التاريخ، أنور الجندي (ت: 1422هـ)، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1968م.

4- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الشركة التونسية، 1977م.

5- التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين، مصطفى بنحمزة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، سلسلة روافد (43)، ط1: شعبان 1432هـ/يوليو 2011م.

6- التسامح بين الأديان من منظور الدبلوماسية الروحية، خالد التوزاني، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية بالعيون، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، المغرب، ط1: 1440هـ/2019م.

7- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1: 1408هـ /1988م.
8- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي (ت: 1416هـ)، نهضة مصر، ط6: يناير 2005م.
9- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2: 1384هـ/1964م.
10- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط3: 1956م.
11- دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، بيروت، دار النفائس، ط2: 1425هـ.
12- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1405هـ
13- الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، أبو سليمان عبد الحميد، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام، القاهرة، ط1: 1423هـ/2003م.
14- الرسول القائد، محمود شيت خطّاب، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، العراق، ط2: 1960م.
15- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1: 1430هـ/2009م.
16- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3: 1424هـ/2003م.
17- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: 1375هـ/1955م.
18- السيرة النبوية وبناء الدولة من التكوين إلى التمكين، خالد عبد المعطي خليف، دار الكلمة، مصر، ط2: 1436هـ/2015م.
19- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ
20- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
21- الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت: 230هـ). تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ط1: 1968م.
22- العلاقات الدولية في الإسلام، أبو زهرة، محمد. مصر: مطابع دار الجمهورية للصحافة، منشورات مجلة الأزهر، ذو الحجة 1436هـ

23- الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: 684هـ)، عالم الكتب، ط: د، ت.
24- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، ط1: 1427هـ.
25- في فقه الحضارة الإسلامية، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2: 1427هـ/2007م.
26- قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، توفيق الطويل، الزهراء للإعلام العربي، ط1: 1991م.
27- كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلاّم (المتوفى 224هـ)، تحقيق: محمَّد خليل هرّاس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ-1986م.
28- الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2: 1400هـ/1980م.
29- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الحيدر آبادي، محمد حميد الله الهندي (ت: 1424هـ)، دار النفائس، بيروت، ط6: 1407هـ.
30- المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، محمد الديك، دار الفرقان، الأردن، ط2: 1418هـ/1997م.
31- المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني الواقدي (ت: 207هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، ط3: 1409هـ/1989م.
32- مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد، محمود حمدي زقزوق، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، شوال 1424هـ/2003م.
33- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة-السعودية، ط1: 1416هـ/1996م.
34- وثيقة المدينة: المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعبي، كتاب الأمة، العدد 110: دجنبر 2005/ يناير 2006.

الهوامش:

(1) الإسلام وأهل الذمة، الخربوطلي، ص95.
(2) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، 13/452-453.
(3) نفسه، 13/448.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/3344-3345.
(5) التفسير المنير، الزحيلي، 38/135-136.

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب، 3544/6.

(7) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، ص237.

(8) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 61/7.

(9) في ظلال القرآن، سيد قطب، 732/2.

(10) التفسير المنير، الزحيلي، 7/21.

(11) الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من، لعمارة (ص13-15).

(12) العلاقات الدولية في الإسلام، أبو زهرة ص5-6.

(13) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ابن مريم عليهما السلام، ح2365.

(14) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم، ح6516.

(15) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في الذِّمِّي يُسلِم في بعضِ السنة، أعَليه جزيةٌ؟، ح3052.

(16) صحيح البخاري، كتاب: الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾، ح3233.

(17) السيرة النبوية، ابن هشام، 589/2. مجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ص221.

(18) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ [الصافات: 139]، ح3231.

(19) كتاب الأموال، ابن سلاّم، ص 605

(20) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ح1250.

(21) الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، أبو سليمان، ص163.

(22) وثيقة المدينة المضمون والدلالة، الشعيبي، ص99.

(23) أوتغه: أهلكه، ووتغ وتغاً: هلك.

(24) سيرة ابن هشام، 501/1-504. الوثائق السياسية، لحميد الله (61/1).

(25) دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، ص125. الإسلام وحركة التاريخ، أنور الجندي، ص33- 34.

(26) فقه السيرة، محمد الغزالي، ص194.

(27) في فقه الحضارة الإسلامية، محمد عمارة، ص 144.

(28) الإسلام والآخر، عمارة، ص18.

(29) وثيقة المدينة، المضمون والدلالة، أحمد الشعبي، ص 74.

(30) سيرة ابن هشام، 503/1.

(31) نفسه، 503/1.

(32) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، ص56.

(33) الإسلام والآخر، عمارة، ص19-20.

(34) السيرة النبوية وبناء الدولة من التكوين إلى التمكين، خالد خليف، ص596.

(35) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، ص56.

(36) أي لا يكلفون بالقتال.

(37) أي لا يدفعون العشر الذي يدفعه التجار الأجانب.

(38) ينظر: دلائل النبوية، البيهقي، 389/5. المصباح المضيء، ابن حديدة، 197/2. مجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ص188-189.

(39) الإسلام والآخر، عمارة، ص54.

(40) البداية والنهاية، لابن كثير، 67/5. الطبقات الكبرى، ابن سعد، 264/1. مجموعة الوثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، حميد الله، ص179.

(41) «نزل عليّ آيتكم»: الآية: السفراء والوافدون. على ما فسّره ابن سعد عند ذكر هذه الوثيقة. مجموعة الوثائق السياسة، حميد الله، ص584.

(42) الطبقات الكبرى، ابن سعد، 264/1.

(43) سيرة ابن هشام، 317/2-318. مغازي الواقدي، 611/2. مجموعة الوثائق السياسة، حميد الله، ص77-78.

(44) المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، محمد الديك، ص268.

(45) العلاقات الدولية في الإسلام، أبو زهرة، ص18.

(46) سيرة ابن هشام، 310/2.

(47) السنن الكبرى للبيهقي، 199/9. سيرة ابن هشام، 412/2.

(48) دراسة في السيرة، خليل، ص208. الرسول القائد، شيت خطاب، ص 240.

(49) سيرة ابن هشام، 403/2.

(50) دراسة في السيرة، خليل، ص204. السيرة النبوية، للصلابي، ص759.

(51) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، ح4030.

(52) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا**﴾ [آل عمران: 186]، ح4290.

(53) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص128.

(54) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، ص233-234.

(55) التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين، مصطفى بنحمزة، ص104..

(56) ينتظر: التسامح بين الأديان من منظور الدبلوماسية الروحية، خالد التوزاني، ص39.